الأهرام

المصدر: العربى

التاريخ: ٢١ اكتوبر ٢٠٠١

محمود المراغى يكتب بعد أن أعلنت واشنطن الطوارئ وأعلنت مصر أن حدودها «مراقبة»

الموت فى زجاجة «بودرة»!

أنتجوا الأسلحة الجرثومية والكيماوية ثم راحوا يشكون منها ■ قبل «١١» سبتمبر: تقرير على مكتب بوش ينبه «الحرب البيولوجية قادمة ونحن غير مستعدين»! ■ امتلاك الحكومات للأسلحة الكيماوية والبيولوجية تحت السيطرة وامتلاك الجماعات كارثة ■ عندما تم اتهام العراق ومصر وسوريا وليبيا بامتلاك أسلحة كيماوية..

الطوارئ فى واشنطن، والتصريحات فى مصر: إننا نراقب الحدود خوفا من تسرب مرض الجمرة الخبيثة.. والقضية أن أى طفل يمكنه أن يلقى بكمية من الدقيق الأبيض أمام سفارة أمريكية فتقوم الدنيا حتى يتم التأكيد أنه دقيق وليس شحنة موت جاءت على شكل «بودرة».

وفى الولايات المتحدة الآن، وبعد أن أغلق الكونجرس أبوابه بسبب إصابات الجمرة الخبيثة فإن أى طبيب مبتدئ يستطيع أن يستدعى قوات مكافحة الإرهاب وأن يحاصر مستشفى لأنه يشك فى حالة مريض!.. وعدوى الذعر انتقلت للأمم المتحدة ولبريطانيا، فالكل يمكن أن يكون هدفا للإرهاب البيولوجى.. ومن ثم فالتحذيرات فى الداخل والخارج مستمرة فإلى أين تمضى هذه المعركة؟.

وحكاية الأسلحة غير التقليدية حكاية قديمة بدأت منذ نحو قرن، حين صدر إعلان سان بطرسبرج بحظر استخدام طلقات «دم دم» عام «١٨٩٩»، وبعدها اجتمعت دول العالم عام «١٩٢٥» لتوقع بروتوكول جنيف الذى يحظر استخدام الأسلحة الكيماوية والجرثومية، ثم اجتمعت مرات أخرى أبرزها عام «١٩٧٥» حين عقدت اتفاقية لتحريم تطوير وإنتاج وتكديس الأسلحة الجرثومية والسامة، وهو ما تعزز باتفاق آخر فى باريس عام «٨٩».

والتاريخ الأخير له مغزى مهم، فالبرغم من امتلاك الولايات المتحدة ودول أخرى تكنولوجيا إنتاج الأسلحة الجرثومية والكيماوية.. وبالرغم من استخدام واشنطن للأسلحة الكيماوية، فإن ما لفت النظر هو انتقال هذه الإمكانية لدول صغرى نسبيا، ويتم تصنيفها بأنها من الدول المشاغبة.

فى ذلك التاريخ «٨٩» كانت قد انتهت الحرب العراقية - الإيرانية.. ولكن وقبيل أن تنتهى نشط - كما يقول التقرير السنوى لمركز الدراسات الاستراتيجية فى ستوكهولم - استخدام هذه الوسائل، وكان عام «٨٨» حاسما فى هذا الأمر، وإن كانت قد بدأت كما يقول تقرير المركز «سيبرى» قبل ذلك بسنوات، «ففى عام ١٩٨٣ أصبح الجيش العراقى فى وضع دفاعى صعب بعد أن وقع هجوم واسع من الحرس الثورى الإيرانى.. و.. حتى يمكن استعادة المناطق التى جرت السيطرة عليها فقد استخدم العراقيون، طبقا لما إدعاه التقرير - غاز الخردل وغاز الأعصاب ضد الإيرانيين، وهو ما يجعلهم يتراجعون ويخلون مناطق تفجير الغازات.. و.. بعد ساعات يدخلها الجيش العراقى».

والتقرير هنا ينقل الرواية عن مراسل صحيفة إيطالية تابع الحرب عن كثب. على أى حال فقد كانت هناك روايات كثيرة حول استخدام أساليب الحرب الكيماوية فى حرب الخليج الأولى، كما كان هناك أكثر من استقصاء للأمم المتحدة مع اللذين أصيبوا فى هذه الحرب.

وفى ذلك التاريخ أيضا «٨٩» جرى الحديث عن امتلاك ليبيا لشىء من ذلك.. لذا فقد اجتمعت الدول الموقعة على بروتوكول جنيف لتؤكد من جديد - ومن خلال مؤتمر فى باريس فى يناير ٨٩ - إدراكها لأهمية تنفيذ البروتوكول وتفعيله لمنع استخدام الغازات الخانقة أو السامة أو غيرها أو وسائل الحرب البيولوجية.. مع مطالبة الأمم المتحدة بالقيام بدور فى هذا المجال.

وبقية القصة معروفة، فقد كان العراق أول بلد يجرى حصاره وتدمير منشآته وإمكاناته «البيولوجية والكيماوية».

لم يكن قد مر أكثر من خمسة أسابيع على «عاصفة الصحراء» حتى صدر قرار مجلس الأمن القاضى بوضع شروط لوقف إطلاق النار وبينها: عدم تمكين العراق من إعادة بناء قوته العسكرية ومنها: القدرات الكيماوية والبيولوجية والتى صدر بشأنها قرار آخر فى يونيو «٩١» يقضى بأن تكون إزالتها على نفقة العراق.. و.. فى مقدمة القرارين إشارة لتهديدات عراقية جرى إعلانها لاستخدام هذه الأسلحة وإشارة لسابق استخدام العراق لهذه الأسلحة رغم انضمامها لبروتوكول جنيف ١٩٢٥، واتفاقية حظر استحداث وإنتاج وتخزين الأسلحة البيولوجية وتدمير تلك الأسلحة وهى الاتفاقية التى

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

وقعت عام «٧٢».

وتابع مجلس الأمن قراراته وطلب من العراق أن يقدم موافقته على تدمير مخزونه وأن يقدم بيانا به لأمين عام الأمم المتحدة خلال «١٥» يوما.

وجولات العراق مع لجان التفتيش وتدمير الأسلحة - كما قلت - معروفة، ولكن وفى التسعينيات أيضا بدأ بروز أسماء دول متهمة بامتلاك قدرات لإنتاج أسلحة كيماوية، وكان من بين هذه الدول طبقا لتقرير مركز الدراسات الاستراتيجية بستوكهولم «سيبرى» فى عامى ٩٦ - ٩٧ كل من مصر وسوريا.. ويقول نفس التقرير: «أما إسرائيل فكانت تملك بالفعل أسلحة نووية وكيماوية».

فى هذا التاريخ أيضا «١٩٩٦» نشرت مجلة شيترن الألمانية فى يونيو أن سوريا تقوم ببناء مصنع للغازات السامة فى حلب، وبعدها - فى أغسطس - نشرت مجلة «جينز» والمتخصصة فى الشئون العسكرية أن سوريا لديها قدرة على استخدام الأسلحة الكيماوية، ولم تنف أو تؤيد دمشق شيئا من ذلك حينذاك.

حتى ذلك الوقت كان النظر موجها للشرق الأوسط، وكان التركيز على سلوك الدول ولكن وفى تاريخ لاحق بدأ الحديث عن امتلاك جماعات من بينها «تنظيم القاعدة» لمثل هذه الإمكانات.

وفى تفكيرها الأولى كانت واشنطن مدركة أن الخطر يمكن محاصرته، وأن السلاح مادام كان مملوكا لحكومات ودول فإنه يمكن التعامل مع الحالة فصاحب «الجريمة» إن جاز التعبير له عنوان يمكن مخاطبته عليه، وتأديبه فيه إن لزم.

هكذا كان التفكير فى القضية وعندما أصدر مركز الدراسات الاستراتيجية والسياسة الدولية بواشنطن تقريره فى ديسمبر الماضى، وقبيل تولى بوش مهمته كان العنوان: «تقرير مكافحة الإرهاب الكيماوى والبيولوجى والإشعاعى والنووى»، وكان الهدف وضع استراتيجية أمريكية فى هذا المجال لتواجه خطر ضرب أمريكا من الداخل «والمنطق هنا واضح فضرب الولايات المتحدة بالخارج أمر صعب لأن الأهداف محددة وتتم حمايتها، أما حرب الداخل فهى ميسورة لأن كل شبر فى أمريكا يمكن أن يكون هدفا ميسورا للإرهاب البيولوجى أو الكيماوى».

وقد تصور التقرير الذى كان على مكتب بوش أخيرا العلاج من خلال إجراءات فى ثلاث مراحل:

مرحلة ما قبل الضربة أو الهجوم ويتم فيها محاصرة إنتاج هذه المواد وردع الدول التى تقوم به.

ومرحلة المواجهة أثناء الضربة بأجهزة ومواد طبية وعقاقير تقى من الضربة.

أما المرحلة الثالثة فهى حين «تقع الواقعة»، ومن ثم يصبح العلاج وتقليل الخسائر هو المطلوب.

هكذا تصور التقرير - الذى لم يمر عليه عشرة أشهر - الأمر الذى يتعلق بحرب الدول أكثر منه حرب الأفراد والجماعات.. و.. فى هذه الحدود أقر الباحثون بأن «أمريكا غير مستعدة بما يكفى».. فهل يكون ذلك هو سر الانزعاج الان؟.

نلاحظ هنا أمرين..

الأول، أن الولايات المتحدة قد ذاقت خطورة الحرب الكيماوية والبيولوجية ففى حرب الخليج الثانية وبسبب استخدام أسلحة جديدة متقدمة انتشر بين الجنود العائدين ما أسموه «مرض حرب الخليج»، ولم يتم حسم ذلك حتى الآن، أو لم يتم الإعلان عن نتيجة البحث فى العلاقة بين المواد المستخدمة وظهور أمراض غريبة بين الجنود.

الأمر الثانى، هو ما أشار له ضحية من ضحايا النشاط النووى الأمريكى فى المؤتمر الدولى لمناهضة التسلح الذرى والنووى الذى انعقد فى اليابان عام «٢٠٠٠».

فى هذا المؤتمر قالت إحدى مواطنات «هانفورد» بولاية واشنطن إنها كانت إحدى الضحايا الذين تأثروا سلبا بالإشعاع السرى الناجم عن التجارب التى تم إجراؤها فى مفاعل هانفورد النووى بواشنطن عام ١٩٤٩، وأنها جاءت لتعتذر لكل القتلى الذين لقوا مصرعهم بشكل مأساوى نتيجة لقنبلة البلوتونيوم التى تم إعدادها فى هانفورد وتفجرت فى نجازاكى.. وقالت: إنه بالرغم من مرور «٥٥» عاما على الحدث، فإننى أدرك أن أكثر من خمسة آلاف يابانى يلقون مصرعهم كل عام بسبب الآثار الصحية طويلة المدى للإشعاع «العدد يقارب ضحايا مركز التجارة العالمى».

تضيف جون سبارك كاسى - وهذا هو اسمها - أن تقدير عالم الأوبئة الكندى د. روزالى برتل لمن لقوا مصرعهم أو عانوا من تشوهات أو أمراض ناجمة عن الصناعة النووية منذ نشأتها هو «١,٣» مليار شخص «أى ما يقرب من ربع سكان العالم هذا العام» وقد نشر العالم الكندى دراسته فى مجلة «الأيكولوجست» فى نوفبر «١٩٩٩» وتمضى رواية «كاسى» لسلسلة التجارب والأنشطة التى تمت فى ولايتها، والمسح الصحى الذى جرى بالمنطقة وكشف عن ارتفاع معدل الإصابة بسرطان الثدى والرئة إلى ثلاثة أمثال وارتفاع معدل الإصابة بسرطان الغدة الدرقية واللوكيميا إلى نحو عشرة أمثال وأن «١٠٠٪» من أسر هانفورد مصابة بالسرطان أو أمراض القلب أو العيوب الخلقية.. و.. فى بحث آخر كما تقول تم اكتشاف أن «٤٠٪» من الأطفال تأثروا جينيا بالتسرب الإشعاعى، وأن «٣٠» ألفا من سكان واشنطن قد تعرضوا فى طفولتهم من عنصر «الأيودين» خلال الأربعينيات والخمسينيات.. أما هى - جون سبارك كاسى - فقد أصيبت كما تقول بالإجهاض، والقصور فى نشاط الغدة الدرقية، واستئصال ورم من الثدى، وسرطان الجلد، والضمور المزمن فى العمود الفقرى وتساقط الشعر.. وقد اضطرت أخيرا لإجراء منظارين لإزالة الورم.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

«جون سبارك كاسى» كانت غاضبة وهى تتساءل أمام المؤتمر: «كم من الأطفال لابد أن يولدوا دون أيد مثل ابن زميلتى فى نادى كلية ويتمان؟.. كم من الفتيات لابد وأن يولدن بشقين فى وجههن بدلا من العينين مثل تلك الفتاة ذات الأحد عشر ربيعا والتى قابلتها فى سبوكين؟.. كم من الأطفال لابد أن يولدوا دون أعين أو جماجم أو أفخاذ أو بأصابع ناقصة مثل الأطفال الذين يموتون عند ولادتهم فى هانفورد»!!.

و.. تمضى شهادة السيدة الأمريكية حول أثار الإشعاع النووى، لكن كل الأمريكيين يعرفون أن الحرب الكيماوية تفعل ذلك أيضا فالتشوه والإصابة بالسرطان واللوكيميا.. كلها أعراض مشتركة بين النشاط النووى والكيماوى، ناهيك عما تحدثه الحرب البيولوجية!.

أمريكا تقف على أطراف أصابعها الآن.. تعلن الطوارئ.. تخاف من الدقيق الأبيض إذا تم ظهوره أمام مبنى حكومى.. أما السر فهو أن جماعات الإرهاب وجماعات طالبان وبن لادن لن تجد ما ترد به على أحدث أسلحة العصر التى يجرى استخدامها.. غير الغازات وقنابل الأمراض الفتاكة.

وفى التحليل يبدو الأمر منطقيا، فنحن أمام تقنيات ومواد وأسلحة يسهل الحصول عليها، ويسهل تهريبها، وتكلفتها رخيصة، ولا يتكلف استخدامها مخاطرة كبيرة.. بعكس العمليات التقليدية لجماعات العنف فالرصاص له ثمن والانتحار له ثمن واقتحام المواقع المرصودة له ثمن أما إلقاء شحنة غاز أو شحنة أمراض فى نهر أو مصدر ماء أو فى الهواء الطلق.. فإنه عمل بلا مخاطرة أو ثمن باهظ، وقد كانت التجربة فى أنفاق مترو طوكيو حين أطلق جماعة الحقيقة المطلقة غاز الأعصاب فقتلت وأصابت.. على الفور!.

إنها الحرب القادمة والمتوقعة.. قد تحدث فى أفغانستان ومن جانب القوات الأمريكية، ليخرج الأفغان من كهوفهم.. لكنها حدثت كما يبدو بالفعل فى واشنطن ليرد الطرف الآخر، ويعلن الحرب داخل أمريكا!.

ومنذ سنوات قالوا إن الحرب البيولوجية والكيماوية هى سلاح الفقراء ضد سلاح الأغنياء النووى.

وقد حان الوقت كما يبدو، فالثمن دولار واحد لسلاح بيولوجى يعادل خطره ما يحدثه سلاح تقليدى بألفى دولار.. أو هكذا يقول خبير مصرى.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية